سورة النور

obeikandl.com

﴿ سورة النور ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

الزانية والزانى هما المستمتعان بأقصى منازل اللذة الدنيويه وأعلاها ــ والتى هى أول منازل لذة أهل الجنة ــ خارج نطاق الشريعة، استرقاً لهذه اللذة، وتلصصاً منهما على حرمات الله.

ولذلك أمرنا الحق سبحانه بأن لا تأخذنا بهما رأفة فى دين الله، خلافاً لكل من خرق أسوار الحرمات، فإنه سبحانه لم يقل فى حق أحد منهم ذلك.

وما غار سبحانه على هذه اللذة إلا لكى يرجعها إلى قانونها، الذى من أجلها أوجده الله، وقد قيد الحق سبحانه هذه اللذة خلافاً لكل اللذات، وجعل لكل اللذات مخارج ومداخل لاستباحتها سوى، لذة الفرج فإنه لم يجعل لها سوى مدخل واحد ألا وهو الزواج.

فالماء تشربه مطلقا بعدة مداخل ومخارج.

والطعام تأكله بعدة مداخل ومخارج: بالحلال وبالهبة وفى العقيقة وفى العرس وفى الصدقة وفى الدعوة وبالشراء وبالتبادل وبالصنع وبالزراعة، إلى غير ذلك من المداخل والمخارج وهكذا دواليك مجمل الشهوات، ما خلا لذة الفرج فإن الحق سبحانه ضيقها على ممارسها

بعقد النكاح فقط وما ملكت اليمين " وهذا ذهب فى الغابرين لنفاذ الرق فى قانون الممالك الأرضية "

فلم يتبق سوى مدخل واحد لهذه الشهوة المضيق عليها، ألا وهو مدخل عقد الزواج الشرعي.

أقول: واعلم أن الحق سبحانه ما ضيق الأمور على هذه اللذة إلا لكى يعلق العقول بها، فظاهر التعلق الحفاظ على النسل الآدمى، وباطن التعلق لا سبيل لفهمه إلا لفحول الرجال الناطقين بالله المفوهين به.

والناظر فى حقائق الوجود يرى عجباً من إباحة الحق للاستمتاع بكل شهوة على ملأ الناس سوى للناكح، فأمرنا الشارع ﷺ بأن نفعله فى الخفاء، ثم أعلمنا حتى أننا لو كنا فى الخفاء، فلا يجب ممارسته فى العرى، بل يجب على المتناكحين أن يستترا عن أعين الملأ الباطن من ملائكة جن.

وفى هذا نكتة باطنية عجيبة تكتب بالإبر على آماق البصر فتكون عبرة لمن يعتبر.

قلت: وفيه إعلام سأكشفه هنا لكل لبيب، وباحث فى علم الحقيقة طبيب، وهو أنه لما كان لا تناسب بين حقائق الجنة لعلوها وبين حقائق الدنيا لتسافلها وتدنيها، فإنه لا التقاء بين حقائق الدنيا وحقائق الجنة مطلقا حتى يلج الجمل فى سم الخياط.

ولما علم الحق تعالى هذا السر أراد أن يعلق أهل هذا العالم المتدنى، وهم أهل الدنيا بالعالم العلوى، فرحمهم وأعطاهم نفخة من نفحات الأزل القديم، ألا وهو سر النكاح، فسكرت به العقول، وتلاشت عنده أذهان الفحول، ومن هنا لم يفهم الفاهم المحجوب سر

قوله عليه السلام: حَبَّبَ ولم يقل: أحببت، فهو إملاء عليه من حضرة ربه، والمبنى للمجهول يتكلم بهذا، ويشرح حقيقة السر المحمدى، ولما تحقق ﷺ من أن الحق سبحانه وتعالى هو الذى حبب إليه النكاح لا هو بذاته المعصوم من النقائص ﷺ فكان يطوف على نسائه بغسل واحد كل ليلة وكن تسع نسوة كما رواه انس ﷺ فى حديث البخارى، ثم أعلمنا ﷺ أن النكاح من أعظم القربات والطاعات الإلهية وبه مفتاح العبادة، والعبادة لا تصلح بغيره وربط بينه وبين أركان الإسلام، فقد أمر ﷺ الرجل بأن يؤخر الحج ويتزوج أولاً، وكذلك جعل الزواج نصف الدين، فإذا صلح هذا النصف صلح النصف الآخر.

فاستقامة الهيكل البشرى واعتدال مزاجه لا يتم إلا بالتناكح بين الجنسين، وفيه أعظم ثواب إلهى وأفضل قربة ربانية يقول ﷺ : ((**إن فى بضع أحدكم صدقة**)).

ولما علم الأنبياء هذا السر الإلهى أرادوا التحقق به أكثر من غيرهم من البشر، فقد روى فى الأثر أن سليمان بن داود عليهما السلام كان له ثلاثمائة وستون امرأة ــ على عدد أيام السنة ــ فقال: لأطوفن كل ليلة على امرأة تلد كل واحدة منهن ولداً يقاتل فى سبيل الله ويقول ﷺ: ((**أوتيت قوة أربعين رجلاً فى الجماع**))

فأوتيت ليست من نفسه ﷺ وإنما من قبل ربه عز وجل، أى أنه استعداد إلهى جبلوا عليه من قبل الله عز وجل لا يدلهم فيه.

واعلم أن صدقة الناكح للمنكوح هى إعفافه ،ولذلك كانت من أعظم الصدقات، ولذلك أحب الأنبياء أن يكونوا أكثر الخلق تصدقاً على النساء من أجل إعفافهن، بما أوتوا من قوة فطرية لديهم للتصدق بهذا

السر.

والكلام طويل جداً فى هذا الباب ولا يسعنى الآن التطويل أكثر من ذلك فيه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

ابتلاه الحق سبحانه فى عرضه، وهو أشد أنواع البلاء وأكثره وقعاً فى النفوس،وجعل هذا الابتلاء ظاهره محنة وباطنه منحة.

واعلم أنه لم يقذف نبى فى عرضه سواه ﷺ، وهذا لعلو مقامه عليهم، ولكون الأنبياء أشد الناس بلاء، ومعلوم أن نبينا أشدهم بلاء ﷺ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أى إن الذين يحبون أن تشيع الشهوات الظلمانية والحجب النفسية توعد الله بهم عقابه الأكبر، ذلك لكونهم أرادوا خرق القوانين الإلهية وتحويلها إلى العبث بالأكوان واختلاط مياه النسل ببعضها البعض، وتعطيل قوانين الشريعة فى شأن الجماع.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

أمر الحق سبحانه أبا بكر الصديق ﷺ أن يتشبه به فى العفو عمن وقع فى عرض ابنته السيدة الصديقة عائشة رضى الله عنها وهو: مسطح بن أثاثة، يقول سبحانه فى الحديث القدسي: ((**أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر سواى**)).

فالمتشبه بالحق لا ينظر عند عفوه ماذا فعل الجانى؟ بل هو فى مقام الصفح العام ولا ينظر إلى عظيم جرم المخطئ، وبهذا أمر الحق سبحانه الصديق ﷺ، ألا ترى نبينا ﷺ كيف قال لأهل مكة وقد فعلوا معه أعظم الفظائع والجنايات: ((**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)).

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

وذلك لتركب كل عين فيما يناسبها، بحيث لا تخرج كل عين عما يطابقها، وهذا قدر للأعيان أزلاً.

والخبيثات: هى المعلومات الظلمانية والحجب الكثيفة، وتكون للخبيثين من الكفار والعصاة والمنافقين، فهى أمهم التى تمنعهم من وصول النور إلى ذواتهم لكى يتطهروا ويتصلوا بعالم الأنوار.

والطيبات: هى المعلومات النورانية والتجليات العرفانية ،ة والتى تكون للطيبين من عباد الله من العارفين بربهم الخارجين من ظلمات أنفسهم إلى أنوار الحق وتجلياته، فكذلك هذه المعلومات هى أمهم التى أخرجتهم من غيابات جب أنفسهم إلى عالم النور المحض .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾

أى لا تدخلوا مقامات غير مقاماتكم ولا تطرقوا أحوالاً غير أحوالكم، ولا تطمحوا إلى ذلك والتعلق به ، حتى تستأنسوا من تلك المقامات والأحوال أنها لكم، فتتحققوا من أهلها فتسلموا عليهم، لكونهم حظوا بتلك المقامات.

وإنما خاف الحق سبحانه على السالكين ادعاء مقامات القوم وأحوالهم فيقال فى حقهم: متسلل لا يصل.

فإياك ثم إياك يا أخى أن تدعى من مقامات الرجال وأحوالهم ما ليس لك بحق.

﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾

أقول وهذا فى الوجود عزيز، أن يدخل العارف مقاماً ولا يجد فيه أحداً.

قال أبو يزيد ﷺ: دخلت كل المقامات فوجدتها مزدحمة حتى دخلت مقام الذل فوجدته خالياً ولم أجد فيه أحداً فلزمته.

فهذا هو العارف الذى دخل بيتاً فلم يجد فيه أحداً فلزمه بإذن مولاه.

وموسى قيل له: ارجعوا، فلم يرجع عن مقام أحمد ﷺ فى الرؤية، بل قال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾.

ولو أنه رجع لكان أزكى له.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

وذلك حتى تكون أبصارهم سماوية وإلهية، لا أرضية سفلية، وحتى تنقلب أبصارهم إلى بصائر يبصروا بها ملكوت السموات والأرض.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

وقدم غض البصر على حفظ الفرج، لكون غض البصر أصعب من حفظ الفرج.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

هذا مثلٌ، لا حقيقة نوره سبحانه، فإن نوره أعز من يوصف بوصف.

أقول: وما رأيت من فسر هذه الآية بحقها سواء من المفسرين أهل الظاهر أو أهل الباطن.

ولا يستطيع عارف أن يفسر حقيقة كلمات هذه الآية، وذلك لعدم إحاطته بالنور الإلهى الذى أشعل الكون، وإذا قلنا لعارف صف لنا نورا الشمس، لكان وصفه خارج نطاق الوصف، لا حقيقة الوصف

نفسه فافهم.

فكيف بخالق الأنوار سبحانه وتعالى عما يشركون؟

وإذا كان نور كواكب الكون كالشمس هو مجرد لعبة بجوار نور الآخرة فكيف يوصف نور الآخرة؟

يقول ﷺ واصفاً سوار الحوراء من هل الجنة: ((**لو أبدت سوار معصمها لأخمد نور الشمس**)).

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾

هؤلاء من رجال ظل العرش الذين ذكروا فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ورد فيهم: ورجل قلبه معلق بالمساجد، وقد رأينا منهم أخانا العارف الكبير صلاح الدين التجانى ﷺ، كان قلبه متعلق بالمساجد أيما تعلق، بحيث لا يفارق مسجده وإذا خرج منه كأنه سمك أخرج من الماء وكان لا يجد راحته سوى فى داخل المسجد .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾

أى نسبة الماء أعلى فيها من نسبة الطين، وإلا لما قال سبحانه:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾

فنسبة الأخضر من الشجر هى نسبة الماء، والماء هو سر الإله الأعظم وإلا لما حمل عليه عرشه قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، وبدونه تستحيل الحياة، وهو الروح المجسم عندى.

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

فيه رد على غلاة الوهابية والتيميين الذين لا يعرفوا بين مكانته ﷺ وبين الأعرابى الجلف.

حتى يتكبر أحدهم أن يقول: سيدنا محمد، ويقول: يا شيخ لا فرق بينك وبين محمد، فإنه قد صار قفة عظام بالية فى قبره، لعنهم الله وأخزاهم وأضلهم.

ويتكبر هؤلاء فى أن يفخم الحضرة المحمدية الشريفة فلا يضيفوا قبل اسمه أدوات التفخيم والتبجيل نحو: مولانا وسيدنا، بل يحاربوا كل من أراد زيارته والاستغاثة به ﷺ ويمنعوا شد الرحال إلى القبر الشريف صلى الله على صاحبه أفضل الصلاة وأعظم التسليم، وكأنهم لم يقرأوا قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.